

الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السّعدي ومنهجه في تفسيره " تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان"

أ/شوقي هشام

أستاذ مساعد - جامعة سطيف

البريد الإلكتروني : chougi_19@hotmail.fr

Résumé

Plusieurs approches et méthodes sont apparues dans l'ère moderne pour interpréter le Coran. Et ce en raison de l'émergence de nombreux scientifiques et savants qui, en adoptant chacun son point de vue et son approche propres, ont essayé d'expliquer le Coran d'une manière contemporaine. Le plus important d'entre eux, Sheikh Abderrahmane Ben Nasser Al-Saadi, qui a écrit un livre dans lequel il s'est livré à une interprétation, si on peut dire, complète et satisfaisante du Coran. En effet, il a essayé d'explicitier son sens en adoptant un style et une approche des plus simples, c'est pourquoi son interprétation a acquis une grande renommée dans tout le monde musulman.

Vu l'importance de cet ouvrage et le statut scientifique dont jouit son auteur, j'ai voulu à travers cet article cerner les grands traits de la personnalité de l'auteur pour saisir la portée scientifique de son ouvrage, considéré comme modèle pour les étudiants. D'un autre côté, j'ai tâché d'explicitier l'approche d'interprétation du Cheikh parce que celle-ci est la condition nécessaire qui va permettre la compréhension de son ouvrage.

Mots-clés

- Sheikh Abderrahmane Ben Nasser Al-Saadi
- Approche de l'interprétation :

Interprétation « Tayssir El-Karim El-Rahmane fi tafssir kalam El-Mannan »

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتابٌ بحرٌ عميقٌ وفهمه دقيقٌ وخزائنه ملأى، لا يصل إلى استخراج كنوزه واستنباط جواهره إلا من تبحر في العلوم وعامل الله تعالى بالتقوى في السرّ والعلانية فإذا فعل فتحت له أبواب واسعة في فهم المراد من كلام الله تعالى، قال سبحانه: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر: 17] ، وقد ظهر في كل عصر منذ نزول القرآن علماء فحول تدبروا القرآن الكريم وفسّروه وبيّنوا معانيه للناس بحسب ما آتاهم الله من فضله في فهم في كتابه، لذلك فقد تعددت مناهج المفسرين في بيان ألفاظ ومعاني كتاب الله تعالى ، حيث سلك كلّ واحد منهم طريقة ومنهجاً رأى بأنه المنهج الأمثل لتقريب معانيه لأذهان الناس، ونتيجة لذلك ظهرت عدة مناهج لتفسير القرآن.

واستمراراً لسلسلة تفسير القرآن التي لا تنقطع عبر الأزمان، ظهر في العصر الحديث عدة مفسرين أحيوا مناهج المتقدمين في التفسير وأضافوا إلى ذلك مناهج و آراء جديدة لم تكن معروفة من قبل ليُتيقّن بذلك حفظ الله تعالى لهذا الكتاب العزيز. ولعلّ من أبرز هؤلاء العلماء الشيخ عبد الرحمان بن سعدي، حيث يعتبر هذا العالم من العلماء المعاصرين المبرزين في علم التفسير، ولا أدلّ على ذلك من مؤلفاته المتنوعة والكثيرة التي تتعلق بتفسير كتاب الله العزيز، والتي من أعظمها تفسيره المسمّى: "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" حيث فسّر فيه الشيخ ابن سعدي القرآن الكريم كاملاً وعالج فيه كثيراً من القضايا العلمية واختار لذلك منهجاً بديعاً رأى بأنه الأصلح والأقرب لفهم معاني كتاب الله تعالى فهما صحيحاً بعيداً عن كلّ فهم خاطئ أو تأويل مبتدع، وسأحاول في هذا المقال _ إن شاء الله تعالى _ أن أعزّف بالشيخ ابن سعدي وأبيّن منهجه في تفسير وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

من هو الشيخ عبد الرحمان ابن سعدي ؟ وكيف كانت حياته الشخصية والعلمية؟ .

وما هو المنهج في سلوكه في كتابه "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" حتى بلغت شهرته جميع الأقطار؟ .

هذه الأسئلة سنجيب عنها إن شاء الله تعالى من خلال المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: الحياة الشخصية والعلمية للشيخ عبد الرحمان بن

ناصر السَّعدي:

أولاً: الحياة الشخصية للشيخ ابن سعدي:

① اسمه ونسبه ومولده: هو الشيخ عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله بن أحمد آل سعدي، من أسرة آل سعدي وهم ينتمون في نسبهم إلى آل مفيد، الذين هم فخذ كبير يرجع أصلهم إلى بطن (آل حمّاد) وهم من بني العنبر من بني عمرو، أحد قبائل بني تميم الشهيرة، ولد الشيخ بعنيزة يوم 12 محرم عام 1307هـ، وحين حملت به أمّه رأت في المنام كأنّها تبول من محراب المسجد الجامع، ففزعت لذلك فقصّت رأيها على زوجها فقال لها: "إن صدقت رأيك فستلدين غلاما يكون إماما في محراب المسجد الجامع، وكان الأمر كذلك"¹.

② أخلاقه: يقول الشيخ البسام في وصف أخلاق الشيخ ابن سعدي: "له أخلاق أرقّ من التّسيم وأعذب من السّلسبيل لا يعاتب على الهفوة ولا يؤاخذ بالجفوة، يتودّد ويتحبّب إلى البعيد والقريب، يقابل بالبشاشة، ويحيّي بالطلاقة، ويعاشر بالحسنى ويجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والوُدّ، ويعطف على الفقير والصّغير وينذل طاقته ووسعه، ويساعد بماله وجاهه وعلمه ورأيه ومشورته ونصحه بلسان صادق، وقلب خالص، وسرّ مكتوم، " ². وكان -رحمه الله- ذا دعاية يتحبّب إلى الخلق بحسن خُلُقِه مَرَحًا للجلّيس لا يَرى الغضب في وجهه طلق الوجه كريم المُحَيّا، يتكلّم مع كلّ فرد بما يناسب حاله ويعاشر الخلق معاشرة تامّة كلّ بحسب حاله من يعرف ومن لا يعرف، الصغير والكبير والخاص والعام والرّجال والنّساء ³.

③ لين جانبه وإنصافه لمخالفه: من سموّ أخلاق الشيخ صحبتته للآخرين مع اختلاف منازلهم، فقد كان بارًا بالجميع، ولم يمنعه خلافه مع بعضهم أن يحسن إليهم ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، كما أنّه كان يعطيهم حقوقهم ويعترف بفضلهم، من ذلك قوله في ردّه على القصيمي: "...ونحن لا ننكر ما في كلامه وكتابه من المعاني الصحيحة المطروقة التي لم يزل أهل العلم يقولونها ويبدونها من الحثّ على تعلّم العلوم وفنون الصّنائع النافعة، وما فيه من ذمّ للجهل وآثاره الضّارة، وما فيه من تأخّر المسلمين في الفنون العصريّة، وما فيه من وصف تفوّق غيرهم في فنون المادة"⁴.

④ مرضه ووفاته ودفنه: لقد أصيب الشيخ ابن سعدي بمرض ضغط الدّم وتصلّب الشرايين، فكان يعتريه المّرة بعد الأخرى، وهو صابر عليه مدة خمس سنوات، فزاد عليه الضرر وسافر إلى لبنان لعلاجّه، فنصحّه الأطباء بالراحة وقلة التّفكير والاجتهاد، لكنه لما عاد إلى بلاده لم يصبر على ترك العلم فقام به تعلّماً وتأليفاً وبحثاً، فعاد إليه المرض أشدّ ممّا كان، وفي ليلة الأربعاء بعد أن صلّى النّاس صلاة العشاء أصيب بإغماء لم يبق منه إلّا فترة يسيرة، طمأن فيها الحاضرين من أهله، وهوّن عليهم أمر الدنيا ثم عاد إلى إغمائه، فطلّب له الأطباء من الرياض بالطائرة، ولرداءة الجوّ لم تتمكّن الطائرة من الهبوط في مطار عنيزة، وقرب طلوع الفجر من ليلة الخميس 23 جمادى الآخرة عام 1376هـ توفي الشيخ وُصِّلِي عليه بعد صلاة الظّهر في الجامع، ودفن في مقبرة الشهبان بعنيزة، وتأثّر الناس بوفاته وظهر ذلك في البكاء والحزن الشديدين من كلّ المواطنين، كما ظهر الازدحام الشّديد على الجنازة التي لم يبق كبير ولا صغير إلّا وقد شهدّها، وبموته فقدت البلدة أعزّ وأغلى شخص يعيش فيها، وأحسّ المواطنون بفراغ واسع بفقدّه ⁵.

⑤ أعماله الخيرية والمناصب التي اشتغلها: كان الشيخ -رحمه الله- محبّاً للخير ساعياً فيه، يطرّق كلّ باب يؤدّي إليه، ولذا كانت له مشاركات إيجابيّة في إقامة المشاريع الخيرية التي ينتفع بها كلّ النّاس نذكر منها أنه:

1- كان مرجع الطّالّاب وعمدّتهم في جميع أحوالهم وشؤونهم، فهو مدرّس الطّالّاب، وواعظ العامّة وإمام الجامع وخطيبه ومفتي البلاد، وكاتب الوثائق ومحرّر الأوقاف والوصايا وعاهد الأنكحة، ومستشارهم في شؤونهم... إلخ .

2- قام في سنة 1360هـ بتأسيس المكتبة الشهيرة "بالوطنية" في عنيزة، وجلب لها آلاف الكتب في شتىّ الفنون فصارت هذه المكتبة مجمعا لطلّاب العلم يقرؤون عليه فيها .

3- رشّح لقضاء عنيزة عام 1360هـ وامتنع تورّعا منه، ولم يدخل في أية وظيفة حكومية .

4- عيّن إماما وخطيبا للجامع الكبير بعنيزة في رمضان عام 1361هـ، بأمر الشيخ عبد الرحمان بن عودان .

5- عيّن مشرفاً على المعهد العلمي بعنيزة سنة 1373هـ براتب قدره ألف ريال، فأرسل إلى رئاسة المعاهد العلميّة أنّه مستعدّ لإدارة المعهد بلا أجر ماديّ بل حسبة لله تعالى فقبلت الرئاسة، وشكروا له صنيعه .

6- هو أول من أدخل مكبّر الصوت إلى عنيزة، وله خطبة في بيان منافعه، خطب بها حين استنكر ذلك بعض الناس⁶ .

ثانياً: الحياة العلمية للشيخ ابن سعدي بين الطلب واليدل .

وسأذكر في هذا المقام العوامل التي جعلت من الشيخ عالماً ناضجاً محيطاً بالعلوم الشرعية، كما أتناول بذله لهذا العلم الذي رزقه الله إيّاه، وذلك من خلال النقاط الآتية:

① حفظه للقرآن وبداية طلبه للعلم:

بدأ الشيخ بن سعدي -رحمه الله- طلبه للعلم بحفظ القرآن الكريم، فحفظه عن ظهر قلب قبل تمام الثانية عشرة من عمره، واهتمّ بطلب العلم عن علماء بلده، وعلماء البلاد المجاورة لها، وكان يستفيد من العلماء الذين يقدون إلى بلده من الخارج، كما جعل أوقاته كلّها في تحصيل العلم حفظاً وفهماً ودراسةً ومراجعةً واستذكّاراً، حتى أدرك في صباه من العلم ما لا يدركه غيره في زمن طويل⁷ ، وكان يواظب على دروس العلماء وعلى من يشعر أنّ له منه أدنى فائدة طارحاً التحيّر والترقّع، ولم يقتصر في طلبه للعلم على فن واحد، بل قرأ في فنون متعدّدة: فقرأ في الحديث والتفسير والعقائد والفقه والأصول والمصطلح وعلوم اللغة وغيرها⁸ ، وقد كان مذهبه الفقهي هو المذهب الحنبلي في بداية طلبه للعلم ثم تحرّر بعد ذلك وصار يرجّح ما بدا له صحّته من المذاهب الفقهية انطلاقاً من الدليل الشرعي، خاصة لما قرأ كتب ابن تيمية وابن القيم فإنّها التي فتقت ذهنه⁹ .

② بداية جلوسه للتدريس:

لقد كان للشيخ ابن سعدي يبذل جهداً كبيراً في نشر العلم وتوجيه الناس وإرشادهم ، وكان لا يصرفه عن جَلْقِ الذِّكْرِ إلّا الأمور الضروريّة، فاجتمع إليه الطلبة وأقبلوا عليه، وقد كان أوّل جلوسه للتعليم في الثالثة والعشرين من عمره، ففي هذه السنّ جلس في حلقة التدريس يعطي الدّروس للطلّاب، ويجدّ في تعليمهم ويجتهد، يعلم زملاءه ومن يريد العلم ويطلبه، وكان يحرص على التّعليم حرصاً على التعلّم فجمع بذلك بين طلب العلم والتّعليم وربّب أوقاته في ذلك، فكان يقضي

بعضها في القراءة على العلماء وبعضها في التدريس، وبعضها في مراجعة الكتب والبحث فيها، ولا يفوت من أوقاته شيئاً إلا وقد رتبته، فبلغ الذروة في علوم الحديث والفقه والتفسير، حتى إنه منذ عام 1350هـ صار مرجع التدريس والإفتاء في بلده، وأصبح المعول لدى جميع الطلاب في أخذ العلوم الشرعية¹⁰.

③ طريقته في التدريس:

لقد حرص الشيخ ابن سعدي على إفادة طلابه، فكان من أحسن الناس تعليماً وتفهماً وتبييناً، وكانت طريقته في التدريس متميزة أخذها عن شيخه محمد الأمين الشنقيطي، وهي كالآتي:

1- أنه يستشير تلاميذه في اختيار الكتاب الأنفع من كتب الدراسة ويتبع الأكثر في الاختيار، فإن تساوا كان هو الحكم في اختيار الكتاب الذي يدرس.

2- يخصص المكافآت لمن يحفظ المتون من طلابه تشجيعاً لهم، وتحفيزاً لزملائهم.

3- يقيم المناظرات بين طلابه المحصلين لشحن أفكارهم وصقل أذهانهم وتعويدهم على إقامة الحجة والبرهان.

4- يطرح المسائل على الطلاب ليختبر أذهانهم ويتعمد أحياناً الغلط، ليرى من هو حاضر الذهن ممن هو شارده.

5- عند ذكره للمسائل الخلافية، يقرر القول الراجح بأدلتها، ثم يذكر القول الآخر بأدلتها ثم يوسط نفسه حكماً في المسألة، وقد يستطرد في ذكر نظائر المسألة، كل ذلك بفصاحة وبلاغة بديهة.

6- يجمع الطلاب كلهم على كتابين واحداً بعد الآخر، وبعد انتهاء الجلسة يطلب من ثلاثة منهم إعادة ما يستحضروه من التقرير، ويدور عليهم ليختبر قوة حفظهم وفهمهم.

7- يناقشهم بعد يوم فيما مضى شرحه، وهذا ما حفز الطلاب على الحفظ والمراجعة.

8- يحرص على طلابه ويتفقددهم عند غيابهم تفقداً دقيقاً وهذا ما جعل تلاميذه يراعون المواظبة لعدم غفلة الشيخ¹¹.

④ معاشته للواقع:

كان الشيخ عبد الرحمان السعدي ممن جمع بين فقه النصوص وفقه الواقع، حيث كان يعيش هموم العالم الإسلامي، وقد ظهر ذلك جلياً في كتاباته في الصحف والمجلات داخل بلده وخارجه، وفي خطبه التي كان يخصصها لأحداث العالم الإسلامي، فقد خطب الشيخ خطبة عن العدوان الثلاثي على مصر الذي قامت به كل من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل وكان لكل منها هدف من هذا العدوان، فعرف الشيخ بفتنته أهدافهم وخطب الناس في خطبة الجمعة في هذا الموضوع ورفع الناس معه أَكْفَ الضَّرَاعَةِ إلى الله ليحيي القوى الإسلامية، وينصر المسلمين، ويرد كيد الكافرين وقد استجاب الله من المسلمين، فخطب الشيخ بن سعدي في جمعة ثانية مهيناً ومبشراً ومذكراً بقوله تعالى: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب: 25]¹².

ومما يدل أيضاً على معاشته الشيخ للواقع ما ذكره تلميذه البسام حيث قال: "... ومع هذا فقد كاتب علماء الأمصار ومفكري الآفاق في جديد المسائل وعويصات الأمور، حتى صار لديه محاولة لتطبيق النصوص الكريمة على بعض مخترعات ومكتشفات هذه العصر وحوادثه، مما يُظهر أسرار الشريعة واتصالها بما يجد في العصر الحديث"¹³.

⑤ ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى على الشيخ بن سعدي كثير من العلماء مما يدل على مكانته بينهم، ومن هؤلاء:

1- الشيخ حامد الفقي فقال: "لقد عرفت الشيخ عبد الرحمان بن ناصر السعدي من أكثر من عشرين سنة فعرفت فيه العالم السلفي المحقق، الذي يبحث عن الدليل الصادق، وينقب عن البرهان الوثيق فيمشي وراءه لا يلوي على شيء... عرفت فيه العالم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق"¹⁴.

2- الشيخ عبد الرزاق عفيفي حيث قال: "إن من قرأ مصنفات الشيخ عبد الرحمان بن ناصر بن سعدي -رحمه الله- وتتبع مؤلفاته وخالطه وسبر حاله أيام حياته، عرف منه الدأب في خدمة العلم أطالعا وتعلّما، ووقف منه على حسن السيرة، وسماحة الخلق واستقامة الحال، وإنصافه إخوانه وطلابه في نفسه"¹⁵.

⑥ شيوخه:

لقد تلقى الشيخ العلم على كثير من العلماء، بعضهم من بلده، وبعضهم من خارجه، ومن هؤلاء:

1- عبد الله بن عائض العويضي الحربي: ولد سنة 1249هـ في عنيزة، وتوفي بها سنة 1322هـ. وهو من أوائل المشايخ الذين قرأ عليهم الشيخ بن سعدي، وقد قرأ عليه علوم العربية وغيرها¹⁶.

2- إبراهيم بن حمد بن محمد بن جاسر: ولد سنة 1241هـ في بريدة، وتوفي بالكويت سنة 1338هـ. قرأ عليه الشيخ بن سعدي علم الحديث، والمصطلح والأصول والفروع والتفسير¹⁷.

3- إبراهيم بن صالح القحطاني: ولد سنة 1270هـ في بلدة أشيقر، توفي بالرياض سنة 1343هـ¹⁸.

4- محمد الأمين الشنقيطي: ولد سنة 1325هـ بمدينة شنقيط في موريتانيا، أخذ عنه الشيخ بن سعدي علم التفسير، وعلم الحديث ومصطلحه، وعلوم العربية من نحو وصرف وغيرهما¹⁹.

5- عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن مانع: ولد سنة 1300هـ في عنيزة، قرأ عليه علوم العربية وغيرها²⁰.

⑦ تلاميذه:

لقد أخذ العلم عن الشيخ بن سعدي خلق كثير بعضهم توفي وبعضهم ما يزال حيًا وهم حوالي 150 تلميذ، منهم:

1- الشيخ محمد بن صالح العثيمين: خلف شيخه في إمامه الجامع بعنيزة وفي التدريس والخطابة توفي سنة 1421هـ.

2- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان البسام: عضو هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.

3- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل: عضو الهيئة القضائية العليا في وزارة العدل.

4- الشيخ حمد بن محمد البسام: درّس في جامعة محمد بن سعود وكان هو الذي يقرأ على الشيخ في الدرس.

5- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان السّعدي: ولد المترجم له وكان ذا عناية بطبع مؤلفات والده²¹

8 مؤلفاته:

عُرِفَ الشيخ بن سعدي بكثرة مؤلفاته وقوتها العلميّة وتنوّعها في شتّى الفنون، فهي تربو عن أربعين مؤلفاً، أذكر أهمّها مقسّمة على حسب الفنّ الذي ألّفت فيه وهي كالآتي:

أولاً: مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن: وهي:

1- تفسير القرآن الكريم كاملاً واسمه "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" وهو مطبوع.

2- "تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن" طبع عدة مرات، وهو اختصار لتفسيره .

3- "القواعد الحسان لتفسير القرآن" طبع عدة مرات ..

4- "الدلائل القرآنية في أنّ العلوم العصريّة لا تخالف القرآن والسنة" وقد فرغ منه المؤلف سنة 1370هـ، وهي رسالة لطيفة بيّن فيها المؤلف أن الدّين الإسلاميّ جمع كلّ خير وأنه لا يخالف العلوم العصرية بل هي داخلة فيه .

5- "المواهب الربانية من الآيات القرآنية" جمعها لما قرأ كتاب الله تعالى في رمضان سنة 1347هـ، وهو مطبوع .

ثانياً: مؤلفاته في الحديث: له في الحديث كتاب واحد هو "بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار" وهو شرح لـ تسعة وتسعين حديثاً من الأحاديث الجوامع، مطبوع.

ثالثاً: مؤلفاته في العقيدة: ومنها:

1- "القول السديد في مقاصد التوحيد" وهو رسالة مختصرة علّق فيها المؤلف على "كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ركّز فيه على ذكر مناسبة الأبواب للترجمة، وقد طبع بحاشية كتاب التوحيد .

2- "الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين" فرغ من تأليفه في رجب سنة 1372هـ، وهو ردّ على الملحدين من ثلاثة وثمانين وجّهاً، طبع أكثر من مرة .

3- "التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة" وقد فرغ من تأليفه سنة 1369هـ، وهو شرح للعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية .

4- "الدين الصحيح يحلّ جميع مشاكل الحياة" وقد فرغ من تأليفه سنة 1375هـ، وهي رسالة بيّن فيها المؤلّف أن الدّين الإسلامي فيه حلول جذريّة لجميع مشاكل الحياة، وقد طبع ووزّع مجّاناً .

5- "انتصار الحقّ . محاوره دينية اجتماعية . " وهي رسالة صغيرة عبارة عن محاوره بين رجلين كانا صالحين فزاغ أحدهما، فحاوره صاحبه حتّى أفنعه وأرجعه إلى صوابه.

رابعاً: مؤلفاته في الفقه والأصول: ومنها:

1- "رسالة في القواعد الفقهية وشرحها" وقد فرغ منها المؤلّف سنة 1331هـ، وهي منظومة لطيفة، تبلغ سبعة وأربعين بيتاً نظمها في أمّهات مسائل الدين وقواعده، وهي مطبوعة .

2- "منظومة في أحكام الفقه" وقد فرغ منه المؤلّف سنة 1333هـ، وهي منظومة طويلة، تربو على أربع مائة بيت، تعرّض فيها لكثير من الأحكام الفقهية، طبعت على نفقة المؤسّسة السّعيدية .

3- "المناظرات الفقهية" وهو كتاب جعله الشيخ على شكل مناقشة بين رجلين في مسائل فقهية، سعى أحدهما المتوكل على الله والثاني المستعين بالله، حيث يدور الحوار بينهما ويتم الاستدلال والمناقشة حتى ينتهي النقاش إلى ترجيح أحد القولين، وقد طبع سنة 1378هـ .

4- "إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب بطريق مرتب على السؤال والجواب" وقد فرغ منه المؤلّف سنة 1358هـ، وهو كتاب وضع فيه الشيخ أسئلة من عنده وأجاب عنها، وقد اتّبع هذا المنهج ليرسّخ المسائل في ذهن القارئ .

5- "حكم شرب الدّخان" فرغ منها المؤلّف سنة 1367هـ، وقد بين فيها الشيخ حرمة الدخان لأضراره الكثيرة .

المبحث الثاني: منهج الشيخ في تفسيره "تيسير الكريم الرحمان" .

أولاً: نبذة عامة عن تفسير "تيسير الكريم الرحمان" .

① اسم الكتاب وسبب تأليف الكتاب:

عرف تفسير الشيخ بن سعدي بـ "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان"

وأما سبب تأليفه له فهو ما رآه من كثرة التفاسير وخروجها عن مقصود التفسير، إمّا بالتطويل المملّ أو بالاختصار المخلّ، فأراد الشيخ أن يؤلّف تفسيراً متوسطاً بين ذلك يفهمه المبتدئ ويستفيد منه المنتهي، وقد نص على ذلك في مقدمة تفسيره فقال: "وقد كثرت تفاسير الأئمة -رحمهم الله- لكتاب الله، فمن مطوّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصّر يقتصر على حلّ بعض الألفاظ اللغويّة بقطع النظر عن المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة له... ولما منّ عليّ الباري وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسّر"²².

② نبذة عن مراحل تأليف الشيخ للكتاب:

بدأ الشيخ -رحمه الله- تأليفه لهذا التفسير المبارك في عام 1342هـ وأنماه عام 1344 هـ، وهذا يتبيّن أنه قد شرع في تأليفه وله من العمر خمسة وثلاثون عاماً، ولكنّ الذي يقرأ هذا التفسير يحسب أنّه لا يمكن لمن كان في هذه السنّ أن يكتب مثله، إذ يمثل هذا التفسير كتابة عالم ناضج متمكّن من العلم وآلاته، واسع الإطلاع.

③ طبعات الكتاب:

كتب الشيخ ابن سعدي بيده نسخة واحدة فقط، ثم أمر من ينسخ له نسخة أخرى، لذلك كان لهذا التفسير نسختان مخطوطتان فقط، إلى أن طبع منه الجزء الخامس فقط، وذلك في سنة 1975م .

ثم طبع الكتاب كاملاً أول طبعة سنة 1365هـ بمطبعة الترقّي بدمشق ووزّع مجاناً بنفقة المؤلف .

ثم صدرت الطبعة الثانية، بالمطبعة السلفيّة بالقاهرة في ثمانية أجزاء، وهي الطبعة الأمّ التي صارت أصل جميع الطبعات التي جاءت بعدها .

ثم صدرت طبعة أخرى، من طباعة المؤسسة السّعيدية بالرياض في سبعة مجلدات، سنة 1376هـ، وعليها بعض التعليقات للشيخ محمد زهري النّجار وهو من علماء الأزهر²³ .

وبعدها صدرت طبعة أخرى للكتاب، باعتهاء عبد الرحمان بن معلّ اللّويحق، سنة 1419هـ .

ثانيا: منهج الشيخ ابن سعدي في تفسيره: وذلك كما يلي:

① المنهج الإجمالي للشيخ في تفسيره:

جاء تفسير الشيخ ابن سعدي وسطا بين طويل التفاسير ومختصرها، ويمكن اختصار منهجه كما يلي: عندما يريد تفسير سورة: يذكر اسم السورة أولا، ثم يذكر هل هي مكية أو مدنية بحسب ما ترجّح عنده وقد يذكر الخلاف في ذلك، وكان يتعرض أحيانا لذكر أسباب النزول، ثم يسرّد مجموعة من الآيات التي استهلّت بها السورة، ثم يشرع في توضيح معاني الآيات بلغة واضحة، فإن كانت في العقيدة بين ما فيها من مسائل في معتقد أهل السنة وأحيانا يردّ في نفس السياق على وجوه استدلال أهل الباطل من الملحدين وغيرهم بالآية محلّ التفسير، وإن كانت الآية في الأحكام بين أهمّ الأحكام الفقهية المستنبطة منها، وإن كانت في القصص بين معانيها والعبر المستنبطة منها، وإن كانت في الأخلاق بين ما يستنبط منها من أخلاق كريمة ثم رغّب فيها، كلّ ذلك بأسلوب سهل ميسّر يفهمه القارئ بلا عناء .

② تفسيره للقرآن بالقرآن:

... لقد أكثر الشيخ بن سعدي -رحمه الله- من تفسيره للقرآن بالقرآن، لأنه أصح طرق التفسير، كما قال ابن تيمية²⁴، واستعمل الشيخ هذا الأصل بأوجه متعددة مجملها ما يلي:

1- جمع الآيات المتفرقة إذا كانت تتناول موضوعا واحدا، ومثاله ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ} [النحل: 89] ، حيث قال: "وهذا كقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143] ، وقال تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: 41]"²⁵ .

2- تفسير اللفظ المهم الذي ورد بيانه في آية أخرى، كما قال في تفسير قوله تعالى: {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} [البقرة: 37] حيث قال: "وهي قوله: {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا} [الأعراف: 23]"²⁶ .

3- تفسير اللفظ المجمل الذي ورد تفصيله في آية أخرى، مثل ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} [الزمر: 6] ، حيث قال: "وهي ما ذكرها الله في سورة الأنعام {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلُ الدَّكْرِينَ حَرَمٌ أَمِ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ {الأنعام:143-144}، فهذه الآية بيّنت الإجمال الواقع في قوله تعالى: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} ²⁷.

4- تقييد مطلق القرآن بمقيده المذكور في آية أخرى، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة:142]، حيث قال: "والمطلق يحمل على المقيّد، فإنّ الهداية والضلال لهما أسباب أوجبتهما حكمة الله وعدله، وقد أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية، التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى كما قال تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} [المائدة:16]" ²⁸.

5- تخصيص العموم الوارد في آية بأية أخرى، وذلك كما ذكر في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجَلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا} [المائدة:2]، حيث قال: "من قصد هذا البيت الحرام، وقصده فضل الله بالتجارة والمكاسب المباحة أو قصده رضوان الله بحجّه وعمرته، والطواف به، والصلاة وغيرها من أنواع العبادات، فلا تتعرضوا له بسوء... وهذه الآية مخصوصة بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [التوبة:28]" ²⁹.

③ تفسير القرآن بالحديث النبوي:

لقد اعتنى الشيخ بن سعدي بتفسير القرآن بالحديث النبوي لأنّه المصدر الثاني من مصادر التفسير قال ابن تيمية: "... فإن أعيالك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له..." ³⁰ وقد كان تطبيق الشيخ لهذا الأصل من أصول التفسير وفق الأوجه الآتية:

1. تفسير الآية كاملة بحديث ورد في تفسيرها، كما في تفسير قوله تعالى: {سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران:180]، حيث قال: "كما ورد في الحديث الصحيح ³¹ "إن البخيل يمثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يأخذ بلمهزمته، يقول أنا مالك، أنا كنزك" وتلى رسول الله . عليه السلام . مصداق ذلك هذه الآية" ³².

2- تقييد مطلق القرآن بمقيّد جاء في السنة النبوية، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود:114]، حيث قال: "...كما قيّدها الأحاديث الصحيحة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، مثل قوله ³³: "الصلوات الخمس،

والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهنّ ما اجتنبت الكبائر³⁴ ، فهنا لفظ السيئات في الآية يوهم أنّ الله يغفر جميع السيئات من صفائر وكبائر، لكنّ الحديث قيدها بالصفائر دون الكبائر فذكر الشيخ هذا التقييد لما فسّر الآية .

3- إذا وجد الشيخ حديثاً له معنى يوافق معنى آية من الآيات أوردته استئناساً بمعناه، كما قال في تفسير قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} [الفرقان:71]، حيث قال: "وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه فعدها عليه ثم أبدل مكان كلّ سيئة حسنة فقال: "يا ربّ إنّ لي سيئات لا أراها هنا"³⁵ ، فهذا الحديث ليس من كلام النبيّ صلى الله عليه وسلم. الذي فسره هذه الآية تفسيرا خاصا بها، بل وافق معناه معنى الآية، فأورده الشيخ عند تفسيرها .

4- بيان غريب القرآن بالأحاديث النبويّة، ومثاله ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر:1]، حيث قال³⁶: "أي الخير الكثير والفضل الغزير الذي من جملته ما يعطيه الله لنبيّه -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة من النهر الذي يقال له الكوثر"³⁷ .

④ تفسير القرآن بأقوال العلماء: وكان منهجه في النقل عن العلماء كما يلي:

1-التنوع من النقل: حيث كان ينقل عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ، فمثال نقله عن الصحابة: ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة:45]، حيث قال: قال ابن عباس: "كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق"³⁸ .

ومثال نقله عن التابعين: ما نقله عن الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: 17]، حيث قال: "قال الحسن: مدّوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم"³⁹ .

ومثال ما نقله عن تابعي التابعين: ما نقله في تفسير قوله تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: 7] حيث قال: "كما سئل الإمام مالك -رحمه الله- عن قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:5]، فقال السائل: كيف استوى ؟ فقال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"⁴⁰ .

2- أحيانا يصرح باسم من نقل عنه وأحيانا لا يصرح باسمه: فمن المواضع التي صرح فيها باسم من نقل عنه ما جاء في تفسير قوله تعالى: {لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} حيث قال: "قال الفضيل بن عياض-رحمه الله- أخلصه وأصوبه، قيل: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه ؟ [الملك:2]، فقال: إنَّ العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا"⁴¹.

- ومن المواضع التي لم يصرح فيها باسم من نقل عنه ما جاء في تفسير قوله تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر:17]، حيث قال: "قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيعان عليه"⁴².

3- تأثره بشيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه ابن القيم كان واضحا في تفسيره، حيث كان ينقل أقوالهما ويرجح بترجيحهما... إلخ⁴³.

⑤ تفسيره للقرآن باللغة العربية: لم تأخذ المباحث اللغوية حظا كبيرا من تفسير الشيخ بن سعدي ذلك أنه كان يركّز في تفسيره على المعاني العامة للقرآن، ولم يقصد التعرض إلى المباحث اللغوية، لذلك جاء استعماله لهذه المباحث معتدلا، وهذا لا يعني أن اللغة ليست لها أهمية عنده ، بل إن الشيخ جعل معرفة اللغة من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن أراد أن يفسر كلام الله تعالى، فقال في تفسير قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم:4]، "ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبين كلامه وكلام رسوله، أمور مطلوبة، محبوبة لله لأنه لا يتم معرفة ما أنزل الله على رسوله إلا بها"⁴⁴ ، وفيما يلي ذكر لبعض الأمثلة عن توظيف الشيخ لقواعد اللغة في تفسيره:

1- بيان معاني الحروف، كما في تفسير قوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة:1]، حيث قال: "ليست "لا" هنا نافية ولا زائدة وإنما أتى بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح"⁴⁵.

2- بيان معنى الكلمة ببيان ضدها وهو ما يعرف بـ "الطباق"⁴⁶، كما في تفسير قوله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر:9]، حيث قال: "والإيثار عكسه الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل والشح"⁴⁷.

3- بيان وزن الكلمة لفهم معناها الصحيح ، كما في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود:90]، حيث قال: "ومعنى الودود من أسمائه تعالى: أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه، فهو: فاعول بمعنى فاعل ومعنى مفعول"⁴⁸.

4- عود الضمير إمّا لأقرب مذكور أو لغيره بقريضة، كما في تفسير قوله تعالى: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ} [الأنعام:84]، حيث قال: "يحتمل أن الضمير عائد إلى نوح لأنه أقرب مذكور لأن الله ذكر مع من ذكر لوطا، وهو من ذرية نوح لا من ذرية إبراهيم لأنه بن أخيه، ويحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم، لأن السياق في مدحه والثناء عليه"⁴⁹.

5- يبيّن أفعال التفضيل إذا وردت على غير بابها، كما في تفسير قوله تعالى: {أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة:60]، حيث قال: "(أُولَئِكَ) المذكورون بهذه الخصال القبيحة (شَرٌّ مَكَانًا) من المؤمنين الذين رحمة الله قريب منهم، ورضي عنهم، وأثابهم في الدنيا والآخرة، لأنهم أخلصوا الدين وهذا النوع من باب استعمال أفعال التفضيل في غير بابها، وكذلك قوله (وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) أي: أبعد عن قصد السبيل"⁵⁰.

⑥ منبهجه في تفسير آيات الأحكام . إنَّ المتتبع لآيات الأحكام التي فسرها الشيخ بن سعدي يمكنه أن يستخلص المنهج الذي اتبعه في تفسيرها، والذي يمكن إجماله في النقاط الآتية:

1- أنه يعرف بالمصطلحات الفقهية ليبني عليها الأحكام المتعلقة بها، ومثال ذلك تعريفه للفضة: "وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ"، وذلك لما فسّر قوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ} [التوبة:60]، حيث قال: "وهو السيد المطاع في قومه ممن يرجى إسلامه أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه أو إسلام نظيره أو جبايتها ممن لا يعطيها"⁵¹.

2- استنباط القواعد الفقهية والأصولية من الآيات، ومثال ذلك القاعدة التي استنبطها من قوله تعالى: {وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} [النور:31]، حيث قال: "ويؤخذ من هذا ونحوه قاعدة سد الوسائل وأنَّ الأمر إذا كان مباحا ولكنه يفضي إلى محرّم أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع"⁵².

3- بيان الحكمة التي من أجلها شرع الله تعالى الحكم وذلك للترغيب في قبوله والانقياد إليه، ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ

بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة:228]، حيث قال: "ولهذه العدة عدة حكم، منها: العلم ببراءة الرحم، إذا تكررت عليها ثلاثة الأقرء، علم أنه ليس في رحمها حمل فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب"⁵³.

4- أحيانا يستطرد كثيرًا في ذكر الفوائد والأحكام المستنبطة من الآيات، ومثال ذلك: آية الدين في سورة البقرة، حيث استنبط منها خمسين فائدة⁵⁴، ومثاله أيضا: آية الوضوء، التي استنبط منها إحدى وخمسين فائدة⁵⁵.

⑦ اهتمامه بالعلوم المستنبطة من القرآن الكريم: هذا النوع من علوم القرآن قد برز في تفسير الشيخ بن سعدي بروزا واضحا حيث ذكر أنواعا كثيرة من العلوم واستدل لها بأدلة ومنهجه في ذلك كما يلي:

أ- ذكر الشيخ عدة علوم حث القرآن على تعلّمها وهي:

1- علم التاريخ: وذلك لإبطال شبه من يجهل تواريخ الأمم والحوادث، وذلك في قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [آل عمران:65]. حيث قال: "... وفيها أيضا حث على علم التاريخ وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوي التي تخالف ما علم من التاريخ"⁵⁶.

2- علم التفسير: للاهتمام به في الطريق ومعرفة الوقت... إلخ وذلك في تفسير قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام:97]، حيث قال: "... ودلت هذه الآية ونحوها على مشروعية تعلّم سير الكواكب ومحالّها الذي يسعى علم التفسير، فإنه لا يتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك"⁵⁷.

3- علم الصناعة: وذلك للاستعداد لقتال الكفار وذلك في تفسير قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال:60]، حيث قال: "حتى إذا لم توجد إلا بتعلّم الصناعة وجب ذلك، لأنّ (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)"⁵⁸.

4- اللغة العربية: لأنّه لا يفهم كتاب الله إلاّ بها، وقد بيّن الشيخ ذلك في تفسير قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم:4]، حيث قال: "... ويستدلّ بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبين كلام الله وكلام رسوله، أمور مطلوبة، محبوبة لله، لأنه لا يتم معرفة ما أنزل الله على رسوله إلاّ بها"⁵⁹.

5- علم الأنساب: وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} [الحجرات:13]، حيث قال: "... وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل لأجل ذلك" ⁶⁰.

ب - بين الشيخ أنَّ القرآن أشار إلى كليات وعمومات وأصول في بعض العلوم: مثل ما يلي:

1- علم الطب: حيث قال: "اعلم أنَّ قواعد الطبَّ تدور على ثلاث قواعد: حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحماية عنها، وقد نبّه تعالى عليها في كتابه العزيز..." ⁶¹.

2- علم الرؤيا: حيث قال في معرض ذكره لفوائد من سورة يوسف: "ومنها أنَّ فيها أصلا لتعبير الرؤيا، وأنَّ علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وأنَّ أغلب ما تبني عليه، المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة..." ⁶².

ج- التحذير من العلوم التي تضرّ النَّاس في دينهم أو دنياهم، كالفلسفة والمنطق اليوناني... إلخ، وذلك لما فسّر قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَخَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَمْتِزُونَ} [غافر:83]، حيث قال: "ومن المعلوم أنَّ فرحهم به يدلّ على شدّة رضاهم به وتمسّكهم، ومعاداة الحقّ الذي جاءت به الرسل، وجعل باطلهم حقا، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقّها بالدّخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني الذي ردّت به كثير من آيات القرآن ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلّته اليقينيّة القاطعة أدلّة لفظية لا تفيد شيئا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل الشبهة والباطل، وهذا أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة والمناقضة، فالله المستعان" ⁶³.

⑧ القيمة التفسيرية التي أضافها تفسير السعدي إلى خزانة التفسير:

من المعلوم أنَّ كلّ مفسّر يريد أن يفسّر كلام الله إلّا وله أهداف ومقاصد يريد تحقيقها من خلال هذا التفسير، والشيخ بن سعدي -رحمه الله- أحسبه من المفسّرين الموقّنين الذين حقّقوا أهدافهم ومقاصدهم من تفسير كتاب الله، ويتبيّن هذا من خلال عرض بعض مميّزات هذا التفسير، وأثره في واقع الناس بعد طبعه، وذلك في النقاط الآتية:

1- عرض معاني القرآن الكريم بأسلوب مختصر، سهل العبارة يفهمه المبتدئ ويستفيد منه المنتهي، وهذه الميزة لا شكَّ أنّها ترغّب النَّاس في الإقبال على هذا

التفسير باقتنائه وقراءته، لذلك فإننا نجد نسبة كبيرة من بيوت المسلمين اليوم تحتوي على هذا التفسير وهذا من علامات القبول له .

2- ذكر نكت عجيبة ودرر وفوائد يندر أن تجدها في غيره من التفاسير، كما هو الحال في آية المواييث حيث استنبط منها الشيخ جميع مسائل الميراث من عول، وردّ وميراث الخنثى... إلخ .

3- التّحقيق في أقوال المفسّرين وبيان الراجح منها مباشرة، بدون التّطويل في سرد الخلاف الواقع بين المفسّرين في تفسير الآية ممّا يجعل القارئ يملّ قراءة التّفسير المتصف بذلك .

4- نصرة مذهب أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين من الفرق الإسلامية أو غيرهم من الملحدين وأهل الكتاب... إلخ .

5- الرّدّ على الطاعنين في القرآن الكريم من الفلاسفة وغيرهم وكشف شبهاتهم مثل كلامه في قوله تعالى: {قُلْ أُنزِلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} [الفرقان:6]⁶⁴ .

6- البعد عن رواية الإسرائيليات التي ابتليت بها كثير من التفاسير، رغم انتقاصها أو طعنها في الأنبياء والصالحين.

7- التّطبيق الكثير لقواعد التفسير، مما يدرّب طالب العلم على كيفة تطبيقها في كتاب الله، لذلك يمكن القول إنّ تفسير الشيخ بن سعدي، يعدّ أرضية خصبة لتدريب طالب العلم على تطبيق قواعد التفسير على الآيات القرآنية .

8- الاستدلال ببعض الآيات على المكتشفات الحديثة، وبيان أنّ القرآن لا يعارض هذه المكتشفات، ومثال ذلك: إقراره لكروية الأرض وأن ذلك لا يتنافى مع إخبار القرآن أنّها مسطحة وبيان وجه الجمع بين هذين الأمرين، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: {وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} (الغاشية:20)⁶⁵ .

9- الحثّ على تعلّم العلوم الدنيوية من زراعة وصناعة وعلم الطب والهندسة والنّجوم... إلخ، وقد سبق تفصيل هذا الأمر في مبحث العلوم المستنبطة من القرآن - فارجع إليه- .

10- احتواء هذا التفسير على كثير من المواعظ المؤثرة التي ترجع الإنسان إلى الحقّ وتبعده عمّا لا يرضي الله تعالى⁶⁶

الخاتمة:

- في خاتمة هذا المقال يمكن لنا أن نسجّل عدة نتائج أهمها ما يلي:
1. الشيخ ابن سعدي يعتبر قدوة للأجيال سواء في أخلاقه أو في علمه وعمله به، وبعض المواقف التي ذكرناها في ترجمته تدلّ على ذلك .
 2. من أهم العوامل التي جعلت من الشيخ ابن سعدي شخصية علمية بارزة الجوّ الأسري الذي كان يعيشه حيث حرصت أسرته على تعليمه وهيأت له كلّ الظروف التي ساعدته على تحصيل العلم .
 3. كتاب "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان" تفسير جيّد يفهمه المبتدئ ويستفيد منه المنتهي، وذلك لسهولة عبارته وسلاسة ألفاظه، لذلك يمكن أن يقال بأن هذا التفسير يصلح أن يكون أرضية ينطلق منها طالب العلم ليفهم المعاني الإجمالية للقرآن الكريم وبعد ذلك يمكن له أن يغوص في كتب التفسير المطوّلة .
 4. ظهر بوضوح اهتمام صاحب هذا التفسير بتقرير العقيدة الصحيحة والرّدّ على كلّ من خالفها بالحجج والبراهين النقلية والعقلية .
 5. الاستدلال ببعض الآيات على المكتشفات الحديثة، وبيان أنّ القرآن لا يعارضها، مثل مسألة كروية الأرض حيث أقرّها الشيخ وبين أن ذلك لا يتنافى إخبار القرآن أنّها مسطّحة .
 6. معالجة الشيخ للواقع الذي كان يعيشه أهل ذاك الزمان، حيث إنّ الشيخ كثيراً ما كان ينزل أي القرآن الكريم على الواقع المعاش ثم يحاول علاجه من خلال ما قرّره آيات الذكر الحكيم .

الهوامش:

1. علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 319.
2. علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 245.
3. الشيخ عبد الرحمان السّعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص 16.
4. تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيبي في أغلاله، ص 4-5.
5. علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 250-251.
6. الشيخ السّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص (1918). مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مقال نشره الشيخ عبد الرحمان العدوي في العدد (4)، ص 33.

7. . مقدمة إيهاج المؤمنين بشرح منهاج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، ص 10 .
8. . إتحاف النبلاء بسير العلماء، ج 1 ص 46-47 وعلماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 221.
9. . علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 220.
10. . علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 220. روضة الناظرين، ج 1 ص 223، نقلا عن الشيخ السَّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 33.
11. . الشيخ السَّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 24-25.
12. . فقه الشيخ بن سعدي، ص 86.
13. . علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 221، وتراجم لتسعة من الأعلام، ص 322.
14. . إتحاف النبلاء بسير العلماء بسير العلماء، ج 1 ص 71.
15. . المصدر نفسه، ج 3 ص 71-72 .
16. . معجم مصنفات الحنابلة، ج 7 ص 68، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 4 ص 184.
17. . فقه الشيخ بن سعدي، ص 46، والشيخ السَّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 26.
18. . فقه الشيخ بن سعدي، ص 44، ومعجم مصنفات الحنابلة، ج 6 ص 255.
19. . انظر، والعلامة الشنقيطي مفسرا، تأليف: عدنان بن محمد آل شلش .
20. . الشيخ عبد الرحمان السَّعدي مفسرا، ص 52. ومعجم مصنفات الحنابلة، ج 7 ص 68.
21. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 3 ص 236-244 والشيخ السَّعدي وجهوده في علم العقيدة، ص 35-36.
22. . تيسير الكريم الرحمان، ص 18.
23. . الشيخ عبد الرحمان السَّعدي مفسرا، ص 75.
24. . مقدمة في أصول التفسير، ص 84.
25. . المصدر نفسه، ص 421.

26. . المصدر نفسه، ص 35.
27. . تيسير الكريم الرحمان، ص 686.
28. . المصدر نفسه، ص 56.
29. . المصدر نفسه، ص 198.
30. . مقدمة في أصول التفسير، ص 84.
31. . رواه البخاري: ك/ الزكاة، ب/ إثم مانع الزكاة، رقم (1403) ومالك في الموطأ: ك/ الزكاة، ت/ ما جاء في الكنز، رقم (696) كلاهما عن أبي هريرة-رضي الله عنه- .
32. . تيسير الكريم الرحمان، ص 141.
33. . رواه مسلم ك/ الطهارة، ب/ الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر (5).
34. . تيسير الكريم الرحمان، ص 367.
35. . المصدر نفسه، ص 585.
36. . رواه أحمد في المسند: مسند أنس بن مالك-رضي الله عنه-، ج 19 ص 55، رقم (11996). قال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع رقم (3359)، ج 3 ص 376.
37. . تيسير الكريم الرحمان، ص 895.
38. . المصدر نفسه، ص 212.
39. . تيسير الكريم الرحمان، ص 108.
40. . المصدر نفسه، ص 105.
41. . تيسير الكريم الرحمان، ص 353.
42. . المصدر نفسه، ص 30. وهو كلام لمطرف بن عبد الله كما ذكره بن عطية الأندلسي في المحرر الوجيز، ج 5 ص 215.
43. . وانظر مثلاً: تيسير الكريم الرحمان، ص 95 وص 111 وص 122 وص 150 وص 174.
44. . المصدر نفسه، ص 396.
45. . المصدر نفسه، ص 859.

46. . الطباق: هو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد كالاسمين أو فعلين انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ج1 ص 317.
47. . تيسير الكريم الرحمان، ص814.
48. . المصدر نفسه، ص364.
49. . تيسير الكريم الرحمان، ص241.
50. . المصدر نفسه، ص215.
51. . المصدر نفسه، ص318.
52. . المصدر نفسه، ص538.
53. . المصدر نفسه، ص85.
54. . تيسير الكريم الرحمان، ص103.
55. . المصدر نفسه، ص201-202.
56. . تيسير الكريم الرحمان، ص118.
57. . المصدر نفسه، ص244.
58. . المصدر نفسه، ص302.
59. . المصدر نفسه، ص396.
60. . تيسير الكريم الرحمان، ص767.
61. . المصدر نفسه، ص167.
62. . المصدر نفسه، ص384.
63. . ، المصدر نفسه ص710.
64. . تيسير الكريم الرحمان، ص549.
65. . المصدر نفسه، ص882.
66. . وانظر: تيسير الكريم الرحمان، ص444 وص449 وص451 وغيرها .